في قضيتنا المشتركة

أُنـوّه دومـاً ببطولة أبنائنا في فلسطين المحتلة، وأشيد بتضحياتهم التي أيقظت بعضاً من الضمائر العالمية، وأطلع ولو لماماً قرّائي على مظالم إسرائيل وعلى ما يبديه الفلسطينيون من شجاعة خارقة، وكيف يعرضون صدورهم لرصاص المستعمرين الغزاة، ويقابلون أفواه بنادقهم بالحجارة، وقنابلهم المسيّلة للدموع بهجمات غدت مضرب الأمثال منذ أمد بعيدٍ.

أعجبتُ خصوصاً بمثلث الرحمة المطران كبوجي وببطولته في القدس وفي منفاه وبدفاعه المجيد عن الأراضي المقدّسة وعن أولئك الفتيان الصناديد الذين يتحدّون الموت دفاعاً عن وطنهم وكرامتهم. دافع الأسقف الصديق منذ تقدّمه في سلك الكهنوت في دير المخلص بصربا (كسروان) عن فلسطين الجريحة، وعن أهلنا في تلك الربوع التي وُلد فيها السيّد المسيح رسول المحبة والسلام، والتي عرج منها النبي العربي (ﷺ) إلى السماء.

قد يتذكر القارئ النبيه ما أبداه الأسقف المناضل ايلاريون من ضروب الشجاعة وألوان الاباء في سبيل نصرة قضيتنا العادلة، وإستعادة حقوقنا المغتصبة، ويعرف ربما موقفه المشرّف أمام الحكام الإسرائيليين. وعندما كان في زنزانته الضيقة المؤلمة، كنّا معه بقلوبنا وعواطفنا الصادقة، وبعد سجن طويل، خرج إلى النور والحرية مكلّلاً بغار النصر على الطغمة الباغية. وهنا لعمري نموذج للبسالة النادرة والعروبة الخالصة.

عندما ضُيّق عليه في زنزانته الحالكة، مضى يشعر بنفحات من العزاء ويلمس أشعة من نور الرجاء. وعلى الرغم من انه بات لا يرى قبة السماء ويستنشق الهواء إلا مرة واحدة في الشهر، شعر بأنه ليس وحيداً، لأنّ الله معه ولأن الشرفاء العقلاء من بني قومه معه، وهذا ما صبّره وجعله شامخاً أمام الحكام الطغاة. إيلاريون كبوجي كوكب العروبة في زمن أمست فيه المدنية وحشية تتبرّأ منها العروبة بل الإنسانية.

مَن خاف وجدانه، كالأسقف المجاهد كبوجي، لم يخف أهوال الحياة، ولا كؤوس الممات. والمقاومة رسالة لا حرفة، ورجل الله المجاهد في ميدان الحق والحرية، كالجندي المناضل في ساحة الحرب، كل منهما يستحق الاكبار ويستأهل التكريم، علماً بأنّ الفكر هي التي تسيّر العالم أولا على ان لا تكون هذه الفكر مرتكزة على عقل بلا روح يستحيل عندها جرثومة الحروب لا السلام فليتجنّب كتّابنا قبل الحكام الأغراض الغريبة عن قضيتنا المحورية وينبّهوا إلى ما يُحاك لشعوبنا من مؤامرات جديدة ودسائس إضافية دنيئة. وليعدّ العرب قبل سواهم وأكثر من سواهم لمطامع داهمة في سبيل دفعها والقضاء عليها لتتجلى كل أرض مغتصبة عربية الوجه والقلب واللسان.

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه